"مملكة سبأ"

بين الحضور الديني والواقع التاريخي

عماد محمد غرلي*

تُعدّ "مملكة سبأ" من أقدم الحضارات اليمنية، إذ يمكن القول إنها تأسست في العام 1950 ق.م.، واتخذت "مأرب" عاصمة لها، وقد اتجه نشاطها لإقامة السدود وإنشاء المزارع وتنظيم الطرق والمواصلات وتأمينها.

امتد نفوذ مملكة سبأ إلى مشارف الشام شمالًا وإلى الخليج العربي شرقًا. وقد ورد ذكرها في الأساطير، والكتب الدينية المقدسة، ولاسيما عندما ذكر الله تعالى في القرآن الكريم "نبأ سبأ": ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾[1]، وما كان لها من مجدٍ ونعيمٍ وعزةٍ وقوةٍ ومنعةٍ، كما ذكر الله تعالى ما كان من شأنها مع نبي الله سليمان عليه السلام. وتشير المعطيات التاريخية والدينية إلى أن الحضارة في عهد سبأ بلغت القمة، لكنها أخلدت للراحة وحياة الترف، وأهملت واجباتها، وكفرت بأنعام الله، فعاقبها الله بانفجار السدود، ودمر ما أمامها من عمائر ومزارع ومدن وقرى، وكان سببًا في زوال ملكها. وقد تفرقت سبأ في الأرض شمالًا وشرقًا وغربًا، وتأثرت حضرموت بهذه الكارثة وكان ذلك في العام 115م. في المقابل، يلحظ تاريخيًا أنه في عهد هذه المملكة بدأت الديانة اليهودية في التوسع، وقد اتخذت لها مراكز في البلاد العربية بهدف الدعوة للدين اليهودي.

إن لمملكة سبأ إذًا، وجودًا جغرافيًا ملحوظًا، وفاعلية حضارية، لذا يعدّ البحث في مكانتها الدينية والأسطورية، وواقع حضورها الفاعل على مسرح الأحداث في التاريخ القديم، من الدراسات الدقيقة، لما فيها من موضوعات شائكة ومثيرة تجمع بين المقدس والتاريخ والموروثات الثقافية والحكايات الشعبية والأسطورة، بعدما أسهم الجانب الديني في تعزيز مكانتها من خلال ما ورد في القرآن الكريم، والتوراة[2].

إن المكانة التي وصلت إليها مملكة سبأ في الكتب السماوية، تعود بالدرجة الأولى، إلى الملكة بلقيس التي لا يمكن الفصل ما بين التاريخ والأسطورة عند الحديث عنها.

وما شهدته سبأ من ازدهار وتفوق حضاري تجلّى في تنوع حضارتها وغناها العريقة، وجعل منها مسرحًا للعديد من التأثيرات والصراعات، وبؤرة للعديد من الأحداث التاريخية التي ارتقت إلى المنحى الأسطوري.

هذا التداخل بين الدين والأسطورة والحقيقة والتاريخ يدفع البحث إلى إبراز حضارة سبأ ومعالمها، والوقوف على دور ملكتها بلقيس التي شغلت أذهان المفسرين والمؤرخين والباحثين والشعراء والأدباء...، إذ هناك غير تساؤل يطرحه بعض المؤرخين والباحثين حول حقيقة هذه الملكة:

فهل مملكة سبأ وملكتها بلقيس، حقيقةٌ واقعةٌ أثبتتها الأدلة والمعطيات والبحوث والتنقيبات والحفريات الأثرية، أم اقتصر وجودها على النصوص المقدسة والأساطير؟ هذا ما يحاول البحث الإجابة عنه.

- معالم وحضارة

تلحظ معلومات تاريخية معنية بالتاريخ القديم، وجود حضارة يمنية راقية، يعود تاريخها على الأقل إلى القرن العاشر قبل الميلاد، وتقترن هذه المعلومات بذكر سبأ التي ارتبطت بها معظم الرموز التاريخية في اليمن القديم والتي هي بالفعل واسطة العقد في هذا العصر، ويمثل تاريخ دولة سبأ، وحضارة سبأ فيه عمود التاريخ اليمني.

وسبأ عند النسّابة هو أبو حمير وكهلان، ومن هذين الأصلين تسلسلت أنساب أهل اليمن جميعًا. كما أن هجرة أهل اليمن في الأمصار ارتبطت بسبأ، حتى قيل في الأمثال: "تفرقوا أيدي سبأ"، والبلدة الطيبة التي ذكرت في القرآن الكريم هي في الأصل أرض سبأ: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾[3]. ومن أبرز رموز اليمن التاريخية سدّ مأرب الذي يعدّ أكبر عمل هندسي شهدته الجزيرة العربية حتى عدّ من معجزات العالم القديم وعجائبه، ولا تزال



رسم لبلقيس وسليمان بريشة الإيطالي رفائيل (Raphael)

اثاره قائمة حتى اليوم[4]. وقد اقترن ذكر السد بسبأ، وكان تكريمه بالذكر في القرآن، سببًا في ذيوع ذكر المملكة وحاضرتها مأرب.

ودولة سبأ هي أكبر تكوين سياسي في العصر الأول، وما تلك الدول التي تذكر معها سوى تكوينات سياسية كانت تدور في فلكها، ترتبط بها حينًا وتنفصل عنها حينًا آخر، مثل دولة معين وقتبان وحضرموت، أو تندمج فيها لتكون دولة واحدة مثل دولة حمير التي لقب ملوكها بملوك سبأ وذي ريدان وحضر موت ويمنت[5].

أما أرض سبأ في الأصل فهي منطقة مأرب، وتمتد إلى الجوف شمالًا، ثم ما حاذاها من المرتفعات والهضاب إلى المشرق. وكانت دولة سبأ في فترات امتداد حكمها تضمّ مناطق أخرى، بل كانت تشمل اليمن كله، وعاصمتها مأرب.

وتدلل الخرائب والآثار المنتشرة التي تكتنف قرية مأرب الصغيرة اليوم على الضفة اليسرى من وادي أذنه، على جلال المدينة القديم وكبرها، ويرجح أن التل الذي تقع عليه قرية مأرب اليوم هو مكان قصر سلحين الذي ذكره العلامة الجغرافي الحسن بن أحمد الهمداني (893 – 947م) في كتابه "صفة جزيرة العرب"[6] قبل ألف عام، وقد ورد ذكره بالاسم نفسه في النقوش اليمنية القديمة. وقد تحكم موقع مأرب في وادي سبأ بطريق التجارة المعروف بطريق اللبان، وكان اللبان من أحبّ أنواع الطيوب وأغلاها في بلدان الشرق القديم، وحوض البحر المتوسط، وقد تميزت اليمن بإنتاجها أجود أنواع اللبان الذي كان ينمو في الجزء الأوسط من ساحله الجنوبي في بلاد المهرة وظفار، وقد أدى ذلك الطلب المتزايد عليه إلى تطوير تجارة واسعة نشطة، تركزت حول هذه السلعة وامتدت إلى سلع أخرى نادرة عبر طريق التجارة المذكور.

يمتد هذا الطريق بصفة رئيسة من ميناء قنا في مصب وادي ميفعة على بحر العرب إلى غزة في فلسطين على البحر المتوسط، مرورًا بمدينة شبوة ومأرب، ثم يمر بوادي الجوف، ومنه إلى نجران حيث يتفرع إلى فرعين:

– طريق يمر عبر قرية الفاو في وادي الدواسر، ومنه إلى هجر في منطقة الخليج، ثم إلى جنوب وادي الرافدين.

– طريق رئيس يمتد من نجران نحو الشمال، مارًا بيثرب، ثم ددان في شمال الحجاز، ومنه إلى البتراء، ويتجه الطريق الرئيس من البتراء نحو ميناء غزة، بينما يتجه فرع آخر إلى دمشق وإلى مدن الساحل الفينيقي.

ولا شك أن استئناس الجمل الذي يرجح أنه تم في القرون الأخيرة من الألف الثاني قبل الميلاد، قد أدى دورًا بارزًا في ازدهار التجارة بقدرته على حمل الأثقال ولمسافات طويلة. وتتوافق تواريخ استئناس الجمل مع ما ورد في التوراة من إشارات إلى زيارة ملكة سبأ للنبي سليمان عليه السلام في القرن العاشر قبل الميلاد، وهي الزيارة التي تفيد وجود علاقات تجارية بين بلاد الشام وبلاد اليمن، إذ تذكر الأخبار المرتبطة بتلك الزيارة أن ملكة سبأ أحضرت

معها كميات كبيرة من الطيوب ومنها اللبان [7].

وتعدّ أخبار هذه الزيارة كما وردت في التوراة، أقدم الأخبار التي وصلتنا عن سبأ وحضارتها، وقصة هذه الزيارة مشهورة وقد طبقت شهرتها الآفاق وملأت أسماع الدنيا، وشغلت الناس عشرات القرون، فقد ذكرتها الكتب السماوية، وتواتر ذكرها في الأخبار والروايات المتعددة، وخاصة موروث أهل اليمن، فملكة سبأ عندهم رمز تاريخي لحضارة يمنية قديمة راقية، وقد كرمت ملكة سبأ وقصة زيارتها للنبي سليمان بالذكر في القرآن الكريم، إذ قال تعالى: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾[8].

وإذا كانت التجارة ومواردها المالي الوفير قد أسهمت بقسط عظيم في صياغة الحياة العامة للناس وازدهارها في مراكز الحضارة اليمنية القديمة، وخاصة في قلب تلك الحضارة، أرض سبأ وعاصمتها مأرب، فإن سد مأرب هو أهم شاهد على أن اليمن شهدت حضارة زراعية فائقة. وتشير بعض الدراسات الأثرية الجادة التي أجريت ميدانيًا على آثار السد أيضًا، إلى أن أسسه ربما تعود تاريخيًا إلى ما قبل مطلع الألف الأول قبل الميلاد على الأقل، وهو أمر يتوافق أيضا مع ما سلف ذكره من أخبار تتحدث عن حضارة يمنية راقية منذ مطلع الألف الأول قبل الميلاد.

وقد ذكرت النقوش ملكة سبأ التي حكمت في القرن العاشر قبل الميلاد وبعدها ذكرت عددًا كبيرًا من المكربين والملوك الذين تولوا الحكم في دولة سبأ، والفرق بين الملك والمكرب هو أن الملك يحكم شعبًا واحدًا أو قبيلة واحدة بينما المكرب لقب للمجمِّع والموحِّد لعدة شعوب أي الموحد، ووجود المكربين في تاريخ اليمن القديم يشهد بجدارة على الجهود المبكرة جدًا لتوحيد أهل اليمن تحت سلطة سياسية واحدة، وقد حاول أحد العلماء ترتيبهم زمنيًا خلال الألف الأول قبل الميلاد، فبلغوا ما يقارب الخمسين، ابتداء من القرن الثامن إلى القرن الأول قبل الميلاد. ومن هؤلاء الحكام يثع أمر بين بن آسْمُهُ عَلَي الذي تذكره الحوليات الآشورية حوالي عام 715 ق.م[9] مقترنًا بالملك الآشوري سرجون الثاني (Sargon II/ ملك أشور من 722 – 705 ق.م) وهو ما يشهد على قيام علاقات دبلوماسية مع العالم الخارجي، أما النقوش اليمنية فتذكره مقترنًا ببعض المنشآت المعمارية ومنها أنه سوّر مأرب، ومنهم أيضا كَرِبْ آل وتار بن ذمار علي الذي بعث بهدية إلى الملك الآشوري سنحريب (أو سنحاريب، ابن سرجون الثاني. حكم من 705 إلى 681 ق.م.) حسب ما يذكر نقش بناء معبد بيت أكينو في آشور، حوالي 685 ق.م، ويرجح أنه هو نفسه صاحب نقش صرواح الكبير الذي يذكر أن هذا الملك قد قام بعدة حملات عسكرية داخلية خلال فترة حكمه يهدف منها إلى تثبيت السلطة المركزية لدولته وتأديب من خرج عنه، وشملت حملاته مناطق أوسان وغيرها من المناطق الجنوبية حتى باب المندب، كما شملت حملاته

أيضا مناطق امتدت ما بين نجران والمعافر بلاد الحجرية، من محافظة تعز وبعض مدن وادي الجوف، مثل نشان ونشق. ويذكر النقش أنه كافأ الجهات التي حافظت على الولاء له مثل حضرموت وقتبان، وأنه قام بإصلاحات واسعة في منطقة مأرب ومنها قصر سلحين، وسوَّر عددا من المدن اليمنية، وأصلح عددا من سبل الري والأراضي التابعة لها.

وبعد المكرب يَدَعْ آل ذريح بن آسْمُهُ علي أشهر حكّام سبأ في أمور البناء، فقد عثر على نقوش عديدة من عهده تذكر منشآته المعمارية، وخاصة المعابد، وقد ارتبطت باسمه معابد شهيرة باليمن القديم مثل معبد أوام البيضاوي الكبير محرم بلقيس ومعبد صرواح، ومعبد في المساجد وغيرها من الأبنية التي تنبئ عن آثارها عن مستوى راق من الإتقان المعماري والإبداع الهندسي، وظلت سبأ حتى القرن الخامس قبل الميلاد، الدولة الكبيرة الأم، حين خرجت عن سيطرتها مناطق عدة واستطاعت أن تكون دولا مستقلة. ودخلت هذه الدول في منافسة مع سبأ، وشاركتها نفوذها السياسي والتجاري، بل إن كل واحدة من تلك الدول لم تكن أقل شأنًا من سبأ في أوج ازدهارها، وأبرز هذه الدول هي معين وقتبان وحضرموت.

أما دولة معين فقد ظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد في الجوف[10]، بعد أن تمكنت مناطق الجوف بقيادة مدينة يَثُل/ براقش العاصمة الدينية من السيطرة على طريق اللبان التجاري بمساندة حضرموت وقتبان، ثم اتجه المعينيون شمالا، وأقاموا المحطات التجارية والمستوطنات المعينية على طرق القوافل التجارية مثل قرْية في وادي الدواسر على الطريق بين نجران والبحرين أي شرق الجزيرة، ومثل ددان في وادي القرى على الطريق بين نجران وغزة.

ومن قرنو عاصمة الدولة المعينية انطلق أهل معين يرتادون الأسواق العالمية في فلسطين ومصر واليونان وغيرها، وقد عثر بمصر على قبر تاجر معيني نقش اسمه زيد ابن زيد وكان يتاجر بالمر والقرفة في مصر أيام بطليموس الثاني حوالي 264 ق.م.، وكان العالم القديم يعرف المعينيين، وقد ذكرهم مؤلفو اليونان في كتبهم وسموا اللبان باسمهم، على أن تلك المصادر لا تقصر الذكر على المعينيين، وإنما تذكر معهم أيضا في اليمن: السبئيين والحضارمة والقتبانيين. وكان أول ذكر القتبان قد ورد في نقش الملك كرب آل وتار السبئي [11]، وكانت حينها موالية لسبأ التي خلصتها من سيطرة أوسان، على أن قتبان مثل معين، استطاعت أن تخرج على سيطرة سبأ في القرن الخامس قبل الميلاد، وأن تمدّ نفوذها على حساب سبأ متحالفة مع حضرموت، كانت مدينة تمنع في وادي بيحان عاصمة قتبان وهو مقر قبائلها في الأصل، وفي القرن الثالث والثاني قبل الميلاد بلغت قتبان أوج ازدهارها وشملت رقعتها مناطق أوسان القديمة حتى ساحل بحر العرب، ومدّت نفوذها جنوبًا لتشمل واحة الجوبة على بعد مسيرة يوم واحد من مأرب العاصمة السبئية.

تميز القتبانيون بنشاط زراعي هائل، فأقاموا مشاريع الري في الوديان، وشقّوا القنوات الطويلة، وحفروا الآبار، وبنوا السدود، وأحسنوا استثمار موقعهم على طريق اللبان التجاري، فجنوا من الزراعة والتجارة الخير الوفير. وكانـــوا يعنـون بسنّ الشرائع ووضع القوانين التي تنظم أمورهـم الاقتصادية، ولا تزال تقوم إلــى اليوم وفــي محل السوق القديم بهجر كحلان تمنع العاصمة قديمًا، مَسَلَّةٌ نقش على جوانبها تعاليم خاصة بسوق المدينة واسمه سوق شمر، ويبين النقش إجمالا الرسوم المفروضة، وفئات التجّار وغير ذلك.

أما حضرموت في أقدم عهودها فقد كانت تابعة لدولة سبأ الكبيرة ثم موالية لها، وفي القرن الخامس ق.م.، إبان ضعف دولة سبأ خرجت حضرموت عليها كغيرها، وكوّنت دولة مستقلة، وقد نمت قوتها تدريجيًّا، واكتسبت أهمية فائقة، خاصة لكونها تملك أرض اللبان في ظفار وكانت عاصمتها شبوة التي تقع في أقصى غرب وادي حضرموت على أطراف مفازة صيهد، وكانت تشمل في عزّ ازدهارها ظفارا أرض اللبان والنطاق الجنوبي الممتد حتى ساحل العرب، وتمتد شمالا باتجاه الربع الخالي وما يحاذي العَبْر، بالإضافة إلى موطنها الأصلي وادي حضرموت. وتبرز أهمية هذه الدولة بوضوح من خلال ذكرها وذكر عاصمتها في المصادر الكلاسيكية، إذ تذكر أن شبوة عاصمة حضرموت كانت مركزا مهمًا لتجارة اللبان.

- **عرش بلقيس (معبد برّان)**

يقع على بعد 1400 متر إلى الشمال الغربي من محرم بلقيس، وهو معبد سبئي كرّس لإله القمر "إلمقه"، ويلي "معبد اوام" مــن حيث الأهمية يعرف محليًّا "بالعمايد"، وقــد قامت بعثة المانية بأعمال التنقيب في هذا المعبد[12]، ومنها عرف أن المعبد مربع الشكل له مساحة مكشوفة تتوسطها البئر المقدسة وحوض ماء حجري يصل إليه الماء بواسطة مصب من فم الثور المقدس.

والقاعة محاطة بعدد من الجدران من الشمال والغرب والجنوب وأمام الجدار الغربي تنتصب مقاعد مرمرية ومن القاعة المكشوفة توجد 12 درجة تؤدي إلى قدس الأقداس حيث الستة "يوجد حاليًا خمسة أعمدة والسادس مكسور"، ذات التيجان المزخرفة بالمكعبات وزن العمود 17 طنًا و350 كجم وطوله 12 مترًا وسمكه 60×80 سم يحيط بساحة المعبد المقدسة سور من اللبن (الطين)، وله أبراج ويقع باب المعبد في الجهة الشمالية. ومن نتائج الحفريات اتضح أن بناء المعبد مرّ بمرحلتين:

- الأولى خلال الألف الثاني حتى بداية الألف الأول ق.م.
- الثانية بدأت عام 850 ق.م.

ويُلحظ أن تعطيلا جزئيًّا حدث للمعبد مرة أخرى خلال القرن الرابع الميلادي. وقد ذكر في القرآن الكريم في قول الهدهد: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾[13].

- بلقيس ملكة سبأ

ارتبط اسم اليمن القديم أو مملكة سبأ المشهورة في التاريخ باسم الملكة بلقيس التي ارتبط اسمها بهذه المملكة العريقة، وإذا كانت ملكة قد ورد ذكرها في القرآن الكريم: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾[14]، فإن هذا الذكر لم يكن مقرونًا باسم الملكة التي تردد اسمها في الكثير من كتب المؤرخين "بلقيس" والتي ظل موطنها محل خلاف بين المؤرخين، ولم يحسم حتى الآن.

فما هي قصة هذه الملكة؟ وهل "بلقيس" الاسم الذي حملته فعلًا؟

إن بلقيس اسم اشتهرت به ملكة سبئية كانت معاصرة للنبي سليمان عليه السلام الذي يرجح أنه عاش في القرن العاشر قبل الميلاد، غير أن المصادر العربية لا تورد اشتقاقًا مقنعًا لهذا الاسم، ويدخله بعضهم مثل ابن دريد (837 – 933م) ضمن الأسماء الحميرية التي لا تقف لها على اشتقاق، لأن لغتها قد بعدت وقدم العهد بمن كان يعرفها، وينفرد في ذلك المؤرخ اليمني نشوان بن سعيد الحميري (؟ – 1178م) الذي حاول أن يقدم اشتقاقًا بالاسم فقال في معجمه "شمس العلوم": "بلقيس اسمان جعلا اسمًا واحدًا مثل حضرموت وبعلبك وذلك ان بلقيس لما ملكت الملك بعد أبيها الهدهاد قال بعض حمير لبعض ما سيرت هذه الملكة من سيرة أبيها فقالوا بلقيس أي بالقياس فسميت بلقيس"[15]. وعلى الرغم من بعض المحاولات، فإن المصادر الأجنبية لم تفلح في تقديم تفسير مفيد للاسم، ولعل أشهر تلك المحاولات ما جاء في مقال نشر في العام 1988م، وهو أن بلقيس كلمة يونانية تعني جارية (PALLAKIS)، وربما كان لها علاقة بالكلمة العربية PLLAECLES، وبالمعنى نفسه على أن مثل هذا التفسير يوحي بأن صاحبة الاسم كانت امرأة ضعيفة وتابعة وهو أمر لا يتفق مع أوصاف تلك الملكة عند الإخباريين خليفة والدها في الحكم؛ فقد ذكر ابن هشام في روايته لكتاب "التيجان" لوهب بن منبه (655 – 738م) انه لما حضرت أباها الوفاة جمع وجوه مملكته وأهل المشورة، وكان من جملة ما قال لهم استخلاف بلقيس عليهم فإنني رأيت الرجال وعجمت أهل الفضل وسيرتهم وشهدت من أدركت من ملوكها فلا والذي أحلف به ما رأيت مثل بلقيس رأيًا وعلمًا وحلمًا، أو ما ذكره على لسان هدهد مأرب وهو يصف الملكة لهدهد سليمان بقوله: ملكتنا امرأة لم ير الناس مثل حسنها وفضلها وحسن تدبيرها وكثرة جنودها والخير الذي أعطيته في بلدها.

ويرى الباحث والأكاديمي اليمني يوسف محمد عبد الله[16] أن ما يمكن اجتهاده بهذا الشأن أن تكون التسمية كنية في الأصل منحوتة من كلمتين أحداهما الاسم بلقيس، ويذكر المؤرخ ابن الكلبي (110 – 204هـ) في جمهرته، "قيسا" ضمن شجرة نسبها؛ فهي بنت القيس كقولهم "ابن القيس" أو "أبو القيس"، فتصبح الكلمتان بعد النحت ودرج الكلام "بلقيس"، ثم جرى كسر القاف بعد ذلك قياسًا على ما هو مشهور في مثل هذه

الكنى كما تنتهي كلمتا أبو الفقيه أو ابن الفقيه وأبو القاسم إلى بلقاسم وهكذا. غير أن التواتر المشهور عند نشوان الحميري أن أباها هو الهدهد أو الهدهاد بن شرحبيل، وينتمي إلى ذي سحر من المثامنة وهي الأبيات الثمانية من حمير أو هو الهدهاد بن شرحبيل بن الحارث الرائش كما يذكر الهمداني.

أما المصادر العربية الأساسية في قصة هذه الملكة، فتذكرها بالاسم بلقيس وخاصة كتاب "التيجان" لابن هشام، وكتاب "الاكليل" للهمداني، والقصيدة الحميرية لنشوان الحميري[17].

أما ان بلقيس المعظم عرشها أو صرحها العالي على الإصراح، فقد زارت سليمان النبي بتدمر، وتدمر عند نشوان كما يقول الباحث، قصر من قصور النبي سليمان في بلاد الشام أي ان ذكر تدمر لا ينفي زيارة الملكة لسليمان أيضًا في بيت المقدس.

وقصة الملكة بلقيس ذائعة منذ القدم، وقد تجاوزت شهرتها مسرح أحداثها. وتناقلتها شعوب أخرى بصيغ مختلفة وروايات متعددة، ويقول الباحث اليمني يوسف عبدالله إن "أشهر حادثة في حياة تلك الملكة هي زيارتها للنبي سليمان"[18].

ويُلحظ أن قصة ملكة سبأ من القصص الجميلة الذي يطغى نفسه على الأصل، ولم يعثر على اسم الملكة في الكتابات القديمة، ولم تدل عليها اللقى الأثرية المكتشفة، بل يذهب بعضهم إلى أن سبأ لم تكن في اليمن، والموروث الحبشي يرى أن بلقيس ملكة حبشية زارت سليمان من أرض الحبشة وتزوجت به وأنجبت ولدًا. على أنه ليس لدى علماء الآثار والتاريخ دلائل قاطعة على نسبة هذه القصة في أصلها إلى الحبشة، ويرى جمهور العلماء أن الآثار المكتشفة في اليمن تثبت أن أرض سبأ وحضارة سبأ في مشرق اليمن، وأن منطقة مأرب شهدت حضارة سبئية راقية في القرن العاشر قبل الميلاد وهو القرن الذي عاش فيه النبي سليمان عليه السلام، وثمة أدوات استعملها الأولون في استخراج الذهب واستخلاصه من شوائبه، ومنجمًا للذهب، ولعله من المناجم التي أرسلت الذهب إلى النبي سليمان[19]. وتشير أحدث الدلائل الأثرية إلى حياة مدنية تقوم على نظام الري منذ الألف الثالث قبل الميلاد.

وتفيد المعلومات الأثرية أن أقدم النقوش التي عثر عليها في الحبشة هي سبئية، ومكتوبة بخط المسند، مما يرجح القول إن أصحابها كانوا يعنون آثار حضارة سبأ.

- الخاتمة

لحظ البحث أن ثمة تقاطعًا بين ما ورد عن سبأ وحضارتها في النصوص الدينية المقدسة، وكتب التاريخ والحفريات الأثرية. فسبأ حضارة ولدت فجر التاريخ، وعاشت مرتين: مرة عندما ذكرها القرآن الكريم فخلدت أبد الدهر، ومرة عندما تركت على الأرض آثارها تروي ما حدث. وتُعدّ عاصمتها مأرب أعتق المدن اليمنية وأشهرها، وتبعد من صنعاء 173 كلم شرقًا، وفيها سد مأرب آية الحضارة السبئية، في منطقة تدعى وادي دنا حيث تتدفع السيول المتجمعة من الأمطار الموسمية المتساقطة

على المرتفعات الشرقية بين جبلي البلق الشمالي والأوسط. بُني سد مأرب، والهدف من بنائه السيطرة على مياه السيل الجارفة وتوزيعها في أرض مأرب حتى أصبحت – كما يقولون– أخصب اليمن وأكثرها جنانًا.

لم يرتبط تاريخ اليمن باسم مملكة من ممالك القديمة مثلما ارتبط باسم مملكة سبأ، وقد حيكت حولها الأساطير والحكايات والقصص، لتصبح رمزًا تمتزج فيه معالم الجمال الفاتن والحضارة الراقية والثروة الوفيرة والقوة المنيعة.

أما عن قدم الحضارة السبئية وما حققته من ازدهار ورخاء وتطور، فهناك مؤرخون تناولوا هذا الجانب، وهناك أيضًا دراسات استخدمت فيها تقنيات علمية متقدمة كشفت عن قدم تلك الحضارة، وعن المستوى المتقدم والرفيع الذي وصل إليه السبئيون الذين نسبت إليهم بلقيس ملكة سبأ.

وأثبتت الدراسات الحديثة عراقة تاريخ سبأ من خلال نظام الري في مأرب عاصمة السبئيين، وأشارت إلى أنه نظام ريّ قديم جسّد نظامًا تقنيًا معقدًا وهندسة انشائية، فانتشرت شهرة هذا النظام حتى إلى خارج الجزيرة العربية، كما دلت الدراسات على وجود سدود ضخمة وفتحات تصريف تم بناؤها في الألفيتين الثانية والثالثة قبل الميلاد وذلك من خلال دراسة التضاريس الطبيعية للمنطقة[20].

إن دراسة المعطيات للتدليل على قدم الحضارة السبئية، من خلال اثبات الملكة بلقيس في رحلتها، سواء كما أشار إليها التوراة أو القرآن الكريم، وعلاقة النبي سليمان بها، والعمق الاستراتيجي الذي يربط مأرب بفلسطين والمصالح المشتركة التي جمعت بين السبئيين والعبرانيين والعلاقات التجارية القائمة بينهم، فالذي يعنينا في نهاية الأمر، هو التقاء معظم المصادر حول وجود ملكة سبأ التي ورد اسمها في الكتب السماوية، وفي كتب الأخبار، وكتابات المستشرقين والمؤرخين العرب، وان هذه المعلومات قد تمت مقارنتها بالمخلفات الأثرية والنقوش والآثار وأخبار الروايات الشعبية اليمنية عبر الأجيال، وقد ظلت في ذاكرة اليمنيين وشبه الجزيرة العربية، رمزًا للأجيال المتوارثة، ورمزًا لحضارة راقية ما زالت حتى الآن مسار جدلٍ بين المؤرخين.

***

الهوامش:

* **دكتور في التاريخ القديم – الجامعة اللبنانية**

1- سورة النمل: 22

2- ينظر مثلاً: العهد القديم: سفر الملوك الأول 10: 1- 13، وسفر أخبار الأيام الثاني 9: 1 – 12

3- سورة سبإ: 15

4- محسن مشكل فهد الحجاج، **سد مأرب في ضوء القرآن الكريم ونقوش العربية الجنوبية**، دراسات تاريخية، ع3، بغداد كانون الأول 2012، ص 287.

5- حمود محمد جعفر السقاف، **ملوك سبأ وذي ريدان وحضر موت ويمنت** (تاريخ اليمن من شمر برعش وحتى حسان ملكيكرب حوالي 270م– حوالي 378م)، دار الكتب، صنعاء 2005، ص 12.

6- الهمداني، **صفة جزيرة العرب**، مراجعة وتحقيق محمد النجدي، مطبعة السعادة بمصر، 1953

7- سفر الملوك الأول: 10: 1-2

8 – سورة النمل: 23

9- Moscati, Histoire et Civilistion des peuples sémetiques, Paris, 1954, p. 180.

10- عبد العزيز سالم، **تاريخ الدولة العربية (تاريخ العرب منذ العصر الجاهلية حتى سقوط الدولة الأموية)**، دار النهضة العربية، بيروت 1986، ص 46- 49.

11- نسيب الخازن، **من الساميين إلى العرب**، بيروت 1962، ص 185.

12- Ahmad Fakhry, An Archaeological journey to Yemen, 3vols, Cairo, 1952.

13- سورة النمل: 23.

14- سورة النمل: 32.

15- نشوان الحميري، **كتاب شمس العلوم**، المحرر عظيم الدين أحمد، ليدن 1961، ص 9.

16- يوسف محمد عبد الله، **أوراق في تاريخ اليمن وآثاره** (بحوث ومقالات)، دار الفكر المعاصر، بيروت 1990، ص 227-232.

17- أبو محمد الملك (ابن هشام)، **كتاب التيجان في ملوك حمير**، تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء 1347هـ، ص 50-51.

و- أبو محمد محمد لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، **الأكليل**، ج 2، تحقيق نبيه أمين فارس، دار العودة، بيروت، ص 70.

و- نشوان بن سعيد الحميري، **ملوك حمير واقبال اليمن**، تحقيق علي بن اسماعيل المؤيد واسماعيل بن احمد الجرافي، دار التنوير، بيروت، ص 57.

18- م. س.، 227- 232.

19- جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام**، ج 1، منشورات جامعة بغداد 1993، ط2، ص 193.

)20(Gurgen Schnut: The Sabaean Irrigation Economy of Marib, an article in Temen, 3000 years of civilization and Art Arabia Felix, 1986, P. 37

***

– **مكتبة البحث**

* **القرآن الكريم**

* **الكتاب المقدس: العهد القديم**

• **المراجع العربية والمعربة**

1. أبو محمد الملك (ابن هشام)، **كتاب التيجان في ملوك حمير**، تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء 1347هـ

2. أبو محمد محمد لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، **الأكليل**، ج 2، تحقيق نبيه أمين فارس، دار العودة، بيروت

3. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، منشورات جامعة بغداد 1993، ط. 2، (10 مجلدات)

4. حمود محمد جعفر السقاف، **ملوك سبأ وذي ريدان وحضر موت ويمنت** (تاريخ اليمن من شمر برعش وحتى حسان ملكيكرب حوالي 270م– حوالي 378م)، دار الكتب، صنعاء 2005

5. عبد العزيز سالم، **تاريخ الدولة العربية (تاريخ العرب منذ العصر الجاهلية حتى سقوط الدولة الأموية)**، دار النهضة العربية، بيروت 1986

6. فرتزل هومل، تاريخ الممالك العربية الجنوبية القديمة، من كتاب التاريخ العربي القديم، ترجمة فؤاد حسنين علي، القاهرة 1958

7. محسن مشكل فهد الحجاج، **سد مأرب في ضوء القرآن الكريم ونقوش العربية الجنوبية**، دراسات تاريخية، ع3، بغداد كانون الأول 2012، ص 287.

8. نسيب الخازن، **من الساميين إلى العرب**، بيروت 1962، ص 185.

9. نشوان الحميري، **كتاب شمس العلوم**، المحرر عظيم الدين أحمد، ليدن 1961، ص 9.

10. نشوان بن سعيد الحميري، **ملوك حمير واقبال اليمن**، تحقيق علي بن اسماعيل المؤيد واسماعيل بن احمد الجرافي، دار التنوير، بيروت

11. الهمداني، **صفة جزيرة العرب**، مراجعة وتحقيق محمد النجدي، مطبعة السعادة بمصر، 1953

12. يوسف محمد عبد الله، **أوراق في تاريخ اليمن وآثاره** (بحوث ومقالات)، دار الفكر المعاصر، بيروت 1990، ص 227-232.

• **المراجع الأجنبية**

1. Adolf Grohmann, Arabia Volume 3, Issue 1, Part 3

2. AFL Beeston: Studies in the History of Arabia. Vol II, Pre-Islamic Arabia. Proceedings of the 2nd International Symposium on Studies of Arabia 1984

3. Ahmad Fakhry, An Archaeological journey to Yemen, 3vols, Cairo, 1952.

4. Blenkinsopp, Joseph (2009). Judaism, the First Phase: The Place of Ezra and Nehemiah in the Origins of Judaism. Eerdmans.

5. Clifford Edmund Bosworth The Encyclopedia of Islam, Volume 6, Fascicules 107-108 p.550 Brill Archive, 1989 ISBN 9004090827

6. Deborah M. Coulter-Harris The Queen of Sheba: Legend, Literature, and Lore McFarland, 2013 ISBN 0786469692

7. Gurgen Schnut: The Sabaean Irrigation Economy of Marib, an article in Temen, 3000 years of civilization and Art Arabia Felix, 1986

8. In the Begining was darkness. Than came the light of the Sabaean Civilazation from the Asian side of the red sea Teshale Tibebu The Making of Modern Ethiopia: 1896-1974 p.xvii The Red Sea Press, 1995 ISBN 1569020019

9. INSCRIBED OLD SOUTH ARABIAN STICKS AND PALM-LEAF STALKS: AN INTRODUCTION AND A PALOGRAPHICAL APPROACH Jacques Ryckmans.

10. Moscati, Histoire et Civilistion des peuples sémetiques, Paris, 1954

11. R. A. Nicholson A Literary History of the Arabs p.14 Cosimo, Inc., 2010 ISBN 1616403411

12. Stuart Munro-Hay Ethiopia, the Unknown Land: A Cultural and Historical Guide I.B.Tauris, 2002 ISBN 1860647448

13. Temples of Ancient Ḥaḍramawt. Pisa University Press. 2005. ISBN 8884922119.

***